

مجالس فتيان الإسلام (المجموعة الثالثة) ٥

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَة

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٥)

غزوة الحديبية

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت : ٨٤٢٨١٤٦
ص ب : ٢٩٨٢ - الرمز البريدي : ٣١٤٦١ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠
الإحساء : الهفوف - شارع الجامعة - ت : ٥٨٣٣١٢٢
جدة - ت : ٦٨٠٥٤٩٣ - ٦٥١٦٥٤٩٢
الرياض - ت : ٤٢٦٦٣٣٩

مجالس فتيان الإسلام

المجموعة الثالثة

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

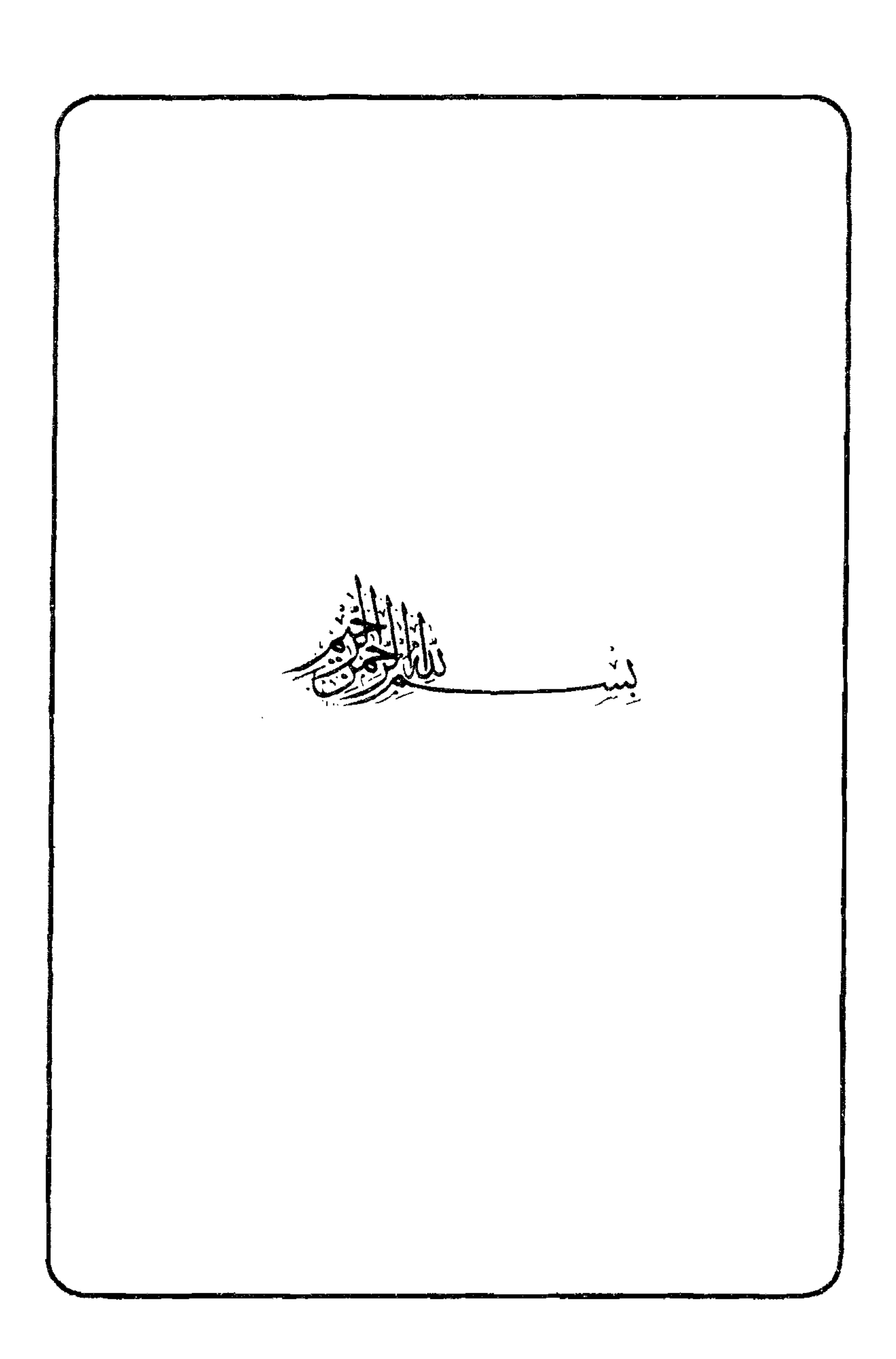
(٥)

غزوة الحديبية

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

حنين إلى البيت العتيق

اشتدَّ شوقُ رسول اللّهِ ﷺ للبيتِ العَتيقِ، فالكَعبةُ المُشرَّفةُ ليس مُلْكاً لقبيلة تَحتكِرُ القِيامَ عَلَيه أو تَصُدُّ عنه... إنه مَثابَةٌ[1] للناس وأمنٌ يَحُجُّ إليه كلُّ من بَلَغَه أذان أَبينا إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۞ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن

---

(١) مجتمع الناس.

كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

إذن فللمُسلمين حقٌّ في أداءِ عبادَتِهم في المسجدِ الحرامِ الذي صدَّ عنه المشركونَ منذ ستةِ أعوام.

رؤيا الأنبياء

ولقد أُرِيَ رسولُ اللهِ ﷺ في المَنامِ: أنَّهُ دخلَ مكَّةَ وطافَ بالبيتِ مُعتَمِرا فأخبرَ بذلكَ أصحابَه فطاروا فرحاً لأنَّهم يعلمونَ أن رؤيا الأنبياءِ حقٌّ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ .

قال أسامة: أَلَيست رؤيا الأنبياءِ حقٌّ وهي كائنةٌ كما هي؟

قلت: بَلى.

قال: فَلِمَ الاستثناءُ[1] في الآيةِ؟

قلت: أي بُنَيَّ، اعلم أنَّ ذكرَ الاستثناء في الآيةِ لتحقيقِ الخَبَرِ وتَوكيدِه، وَقيل: تَعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عَن مُسْتَقبَل.

التهيؤ للعمرة

قال أنس: وماذا صَنعَ رسولُ اللهِ ؟

(١) قولُك: «إن شاء الله».

قلت: تَهَيَّأ رسولُ اللهِ ﷺ للخُروجِ إلى مكَّةَ مُعْتمراً واستنفرَ العَرَبَ ومَن حولَه من البوادي ليخرجُوا معه، فأبطَأ كثيرٌ من الأَعرابِ مُعتَذرين بِأهليهم وَشُغْلِهم، ولكنَّ الحقيقةَ أنَّهم ظَنُّوا أنَّ أهلَ مكَّةَ سوفَ يُقاتلونَ محمَّداً ﷺ... فهي عُمْرَةٌ محفوفةٌ بالمخاطرِ والفرارُ منها أجدى، وإن حصلَ ما خرجَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ فالاعتذارُ إليه بعد رجوعِهِ سهلٌ، وقد ذكرَ اللهُ أمرَهم في سورة الفتح:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ
وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۞ وَمَن لَّمْ
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلَّهِ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ سَيَقُولُ
ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا
ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن
تَتَّبِعُونَا ۚ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُل
لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ۞ .

في الطريق إلى مكة

وَتَحَرَّكَ رسولُ الله ﷺ راكباً ناقَته القصواء في ألفٍ وأربعمئة أو ألفٍ وخمسمئة من أصحابه رضي الله عنهم، ولم يخرُجْ مَعَه بِسلاحٍ إلاَّ السُّيوف في أغمادِها.

فلمَّا كانوا بذِي الحُليفةِ ـ ميقاتِ أهلِ المدينةِ ـ نزلَ رسولُ اللهِ ﷺ وصلَّى بهم الظُّهرَ، وقَلَّدَ الهَدي وأشعَرَه[١]، وأحرمَ بالعُمرَةِ؛ ليأمنه النَّاسُ، وإعلاماً لهم أنه لا يُريد حَرباً ولا قِتالاً.

---

(١) شَقَّ أَحَدَ جَنبي سَنامِ البَدَنَةِ حتى يسيلُ دمهُا، وذلك عَلامةٌ لَها تُعرف بِها أنها هَديٌ.

وبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ يدَيه عَيْناً[1] مِن خُزاعة يُدعى بُسْر بن سفيان يَرصدُ له أخبارَ قريش، فلمَّا بلغوا عُسفانَ جاءَه الخَبَرُأنَّ قريشاً جَمَعَت جُموعَها لِتَصُدَّ رسولَ اللهِ ﷺ عن البيت.

قال مالك: وماذا كانَ موقف رسول الله ﷺ؟

قلت: استشارَ رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه قائلاً: «أشيروا أيُّها النَّاسُ عليَّ، أترون أن أميلَ إلى عيالِ وذراري هؤلاء الذين يُريدونَ أن يصدونا عن البَيتِ، فإن يأتونا كان الله عزَّ وجل قطع عيناً من المشركين، وإلاَّ

(١) جاسوساً.

تَركناهم مَحروبين»[1].

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسولَ الله خرجتَ عامداً لهذا البيتِ لا تُريدُ قتلَ أحدٍ ولا حرب، فتوجه له فَمَن صَدَّ عنه قاتلناه.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «امضوا على اسم الله».

الصد عن البيت الحرام

أرسلت قريشٌ جَيْشاً بقيادَةِ خالدِ بن الوليد ليقطَعَ على المسلمينَ الطريقَ إلى مكَّةَ إن هم تَقَدَّموا نحوَها... ولكنَّ رسولَ اللّهِ كان حَريصاً على تحاشي القِتالِ مع قُريشٍ،

---

(١) مسلوبين منهوبين.

ولذلك سَلَكَ وأصحابَه رضي الله عنهم طَريقاً وَعِراً بين الشِّعابِ أفضى بهم إلى الحُدَيْبِيَة، فلما رآهم خالدُ بن الوليد خالَفوا عن طريقِهِ انطلق يَركضُ لِيُنذِرَ أهلَ مكَّة.

حابس الفيل

سارَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى إذا كان بِثَنِيةِ المرار برَكَت به ناقتُه، فقالَ الناسُ: حَلْ حَل[1]، فألَحَّت.

فقالوا: خَلأتِ[2] القَصْواء[3].

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «ما خلأتِ القَصْواءُ

---

(١) كلمة زجر تقال للناقة إذا حثثتها على السير.

(٢) حرنت فلم تبرح.

(٣) اسم ناقة رسول الله ﷺ.

ومـا ذاكَ لهـا بِخُلُق ولكـن حَبَسَهـا حـابِسُ الفيل[1]»

ثـم قـال: «والـذي نَفْسـي بِيَـدِه لا يَسألوني خُطةً[2] يُعَظِّمونَ فيها حُرماتِ اللهِ إلاَّ أعطيتهم إيَّاها».

في الحديبية

ثُمَّ زَجَرَ النَّاقةَ فوثَبَت، فعدَلَ عنهم حتَّى نزلَ بأقصى الحُدَيْبِيَة.

قالت هند: لقد تحَّملَ رسولُ الله ﷺ والمسلمـونَ الأذى والتَّعَـبَ بسبـبِ وعـورةِ

---

(١) حَبَسها اللهُ عزَّ وجلَّ عن دخول مَكَّةَ؛ كما حَبَس الفيل الذي جاء ليهدمَ الكعبةَ عن دُخولِها.

(٢) الأمر أو الحالة التي يعزم المرء عليها.

الطريق.

قلت: نعم يا بُنيتي، ولكنهم نالوا رضى الله ومغفرَتِه؛ فهي غايةُ كلِّ مُسلمٍ.

قال أسامة: وماذا فعلوا في الحُدَيْبِيَة؟

قلت: بحثَ المسلمونَ عن الماءِ فلم يَجِدوا في البِئرِ إلاَّ ماءً مُنْقَطِعاً لم يقم شيئاً لِعَطَشِهِم، فهرَعُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ يَشكونَ قِلَّةَ الماءِ.

قال أنس: وماذا أجابهم رسولُ اللّهِ ﷺ؟

قلت: عندَها ظَهرت معجزةُ النَّبي ﷺ التي أكرَمَهُ اللهُ بها حيث استحالت[1] البئرُ

---

(١) تحوَّلت.

التي نَضبت[1] ماؤها عيوناً[2] فوّارة.

قال مالك: وكيف كان ذلك؟

قلت: انتزع رسولُ الله ﷺ سهماً من كِنانَتِه[3]. فأعطاهُ رجلاً من أصحابِه، فنزلَ في القليب[4] فغرزَه[5] في جوفِهِ، فجاشَ[6] الماءُ فاستقوا حتى رووا وروت رَكائِبهُم[7].

---

(١) غار في الأرض.

(٢) ينابيع.

(٣) جَعبَة صغيرة من جلد للنَبل.

(٤) البئر.

(٥) وضعه.

(٦) فاض.

(٧) جمع ركوبة، وهي الدابة المخصصة للركوب.

اطمأنَّ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه، وأمَّا قريش فقد ذُعرت وبدأت تُفَكِّرُ جادةً في إبعادِ رسولِ اللهِ ﷺ عن مكَّةَ؛ لأنَّها نظرت إلى الأمَرِ فرأت أن مهابَتَها سَتُنزَعُ من بين القبائلِ إذا دخلَ المسلمونَ ديارَهم... فبدأت تُرسلُ مجموعاتٍ من فُرسانِها لعلَّهم يُصادفونَ غَرَّةً[1] من المسلمينَ يُحققونَ فيها بعضَ مآربِهم المُشينة.

عن أنس بن مالك: أن ثمانينَ رجلاً من أهلِ مكَّةَ هَبَطوا على رسولِ اللّهِ ﷺ من جبل التنعيم[2] متسلحينَ يُريدون غَرَّةَ النَّبي

---

(١) غفلة في اليقظة.

(٢) موضع بين مكة وسرف.

ﷺ فأخذهم سلماً فاستحياهم[1]، فأنزلَ الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

وكانت قريشٌ قد استنفرَت قبائلَ العَربِ مِن حولِها وألّبَتها على رسولِ اللّهِ ﷺ بدعوى: أنَّه اعتدى عليها في عُقْرِ دارِها[2] وفي الحَرمِ.

وكانت العربُ تُعظِّم البيت وتُجِلُّ قريشاً لمكانتِها من البيت، فأرادَ رسول الله ﷺ أن يُبطِلَ دعوى قريشٍ؛ ويكسبَ تلكَ القبائل فأرسلَ إلى قريشٍ مَنْ يُبلغها غايتَه

(١) تركهم أحياء وأعتقهم، فسموا العتقاء.

(٢) وسطها.

على مرأى ومَسمع من النَّاس: أنه لم يأتِ لقتالٍ، وإنَّما جاءَ زائراً للبيتِ ومعظماً لحرمَته.

رسول رسول الله

فدعا عُمَرَ بن الخَطّابِ ليبعَثَه إلى مكَّة.

فقال عمر: يا رسولَ اللهِ إنّي أخافُ قُريشاً على نَفْسي، وَليس بها من بَني عدي أحدٌ يَمْنَعُني، وَقد عَرَفَت قُرَيشٌ عَداوَتي إيَّاها، وغِلظَتي عَلَيها، ولكني أدلُّكَ على رجلٍ هو أعزُّ مِني عُثمان بن عَفّان.

دعى رسولُ اللّه ﷺ عثمانَ بن عَفّان، فبعثَه إلى قُريشٍ يُخبرهم أنَّه لم يأتِ

لحربٍ، وإنَّما جاء زائراً لهذا البيت مُعظِّماً لحرمتِه، وأن يَدْعُهم إلى الإسلامِ، وأمرَهُ أن يأتيَ رجالاً بمكَّةَ مؤمنين، وَنِساء مُؤمناتٍ، فَيَدخُل عليهم، ويُبَشِّرَهُم بالفَتْح، ويُخبرَهُم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ مُظهر دينَه بمَكَّةَ حتَّى لا يستخفي فيها الإيمانُ، فانطلقَ عثمانُ رضي الله عنه حتى أَتى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أبانُ بن سعيد ابن العاص فنزلَ عن دابَّتِهِ وَحَمَلَه بين يَديه وأجارَه حتَّى يُبَلِّغَ رسالةَ رسولِ الله ﷺ، فانطلقَ عثمانُ حتَّى أتى أبا سفيان ورؤوساءَ قريش، فَبَلَّغَهُم عن رسولِ الله ﷺ ما أرسلَهُ به، فقالوا لعثمان: إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فَطُفْ.

فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتَّى يَطوفَ به



رسولُ الله ﷺ.

تحت الشجرة

عندئذٍ احتبَسَتهُ قُرَيشٌ عِندَها، وطالَ الاحتباسُ، فبلغَ رسولَ اللهَ ﷺ والمسُلمين أن عثمانَ قد قُتِل، فَدَعا رسولُ الله ﷺ أصحابَه للبَيْعَةِ، فَهَبُّوا إليه جميعاً ليبايعوهُ وهو تحتَ شجرةِ الرضوان، فبايعوه جميعاً إلاَّ الجدّ بن قيس - وكان منافقاً - فقد اختبأ تحتَ بَطنِ بعيره، فقال رسول الله ﷺ: «كُلُّكم مغفورٌ له إلا صاحب الجملِ الأحمر».

نعم؛ تسابقَ الصحابةُ رضوان الله عليهم لمبايعةِ رسولِ الله ﷺ حتَّى ينالوا

رضى الله عزَّ وجلَّ، ولذلك مدحَهم ربُّهم وأثنى عليهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

قال أسامة: لقد فاتَ عثمانَ هذا الأجرُ العظيم!

قلت: على رسلِكَ يا بُنَيّ، فقد بايعَ عثمان!

قال: وكيفَ بايعَ وهو مُرتَهَنٌ عند قُريشٍ؟

قلت: لقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ بيده اليمنى فقال: «هذه يد عثمان»، فضرب بها على يده قائلاً: «هذه عن عثمان».

قال أنس: ما البَيّعَةُ؟

قلت: هي المُعاهَدَةُ على الطَّاعةِ، كأنَّ كلَّ واحدٍ من المُتبايعين باعَ ما عندَه من صاحبِهِ وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره.

قال مالك: وعلى أَيِّ شيءٍ كانت البَيْعَةُ؟

قلت: سُئِلَ الصحابةُ رضوانُ الله عليهم هذا السُّؤالِ فأجابوا عنه بما يأتي:

١ ـ بايعوا على الموت.

عن يزيد بن أبي عُبَيد قال: قُلْتُ لسلمةَ بن الأكوع: على أي شيءٍ بايَعتُم رسولَ الله ﷺ في الحُديبية؟

قال: على الموت.

٢ ـ بايعوا على عدم الفِرار.

قال مَعقِلُ بن يَسار وجابرُ بن عبد الله: بايعنا رسولَ اللهِ على ألاَّ نَفِرَّ.

٣ ـ بايعوا على الصَّبْرِ والثَّباتِ.

قال نافعُ مولى ابن عمر: بايَعَهُم على الصَّبْرِ.

وقد أثنى اللهُ على هذه البَيْعَةِ فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ولذلكَ بشّرَ رسولُ اللّهِ ﷺ مَنْ بايعَهُ بَيْعةَ الرّضوان بالجنّة فقال ﷺ: «لا يدخلُ النّارَ إن شاءَ اللهُ من أصحابِ الشّجَرَة أحَدٌ الذين بايَعوا تحتَها».

رسل قريش

شَعَرَ حُلفاءُ قُرَيشٍ أنَّها تُريدُ صَدَّ المسلمينَ عن البيتِ الحرامِ فوجَّهوا اللّومَ لها، فلمَّا رأت قريشٌ تَغَيُّرَ موقِفَ حُلَفائِها، عَمَدَت إلى خُطَّةٍ لِتَستَعيدَ بها حَماسَ حُلفائِها أو تُسكتَهم على الأَقَلِّ، فَبَدَأت تبعثُ الرُّسلَ من قِبَلِها إلى المُسلمينَ لِتَظْهَر بالإنصافِ . . . لكنَّ الأمورَ كانت تجري بما لا تَشْتَهي قُرَيشٌ، فكلَّما بعثَت رَسولاً رجعَ إليها يُعَظِّمُ أمرَ المسلمين، ويؤكِّدُ شرفَ

الغايةِ التي خرجوا من أجلها.

عَلِم بديلُ بن وَرْقاء الخُزاعي، فقدِمَ إلى رسول اللّهِ ﷺ وأصحابِه في نَفَرٍ من خُزاعة، فقال لرسولِ ﷺ: إنِّي تَرْكْتُ كَعْبَ ابن لؤي وعامرَ بن لؤي نزلواأعدادَ[1] مِياه الحُدَيْبِيَة وَمَعهم العُوذ المَطافيل[2] وهم مُقاتِلوكَ وصادُّوك عن البَيْتِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّا لم نجيء لقتالِ أحدٍ ولكنَّا جئنا مُعتمرين، وإنَّ قريشاً قد نَهَكَتهم[3] الحربُ وأضَرَّت بهم، فإن

---

(١) جمع عُدٌّ وهو الماءُ الدائمُ الّذي لا ينقَطِعُ.

(٢) العوذُ هي الإبل حديثة النتاج، والمطافيل: التي معها أولادها، والمراد النساء مع أولادهن.

(٣) غَلَبَتهم وَجَهَدَتهم.

شاءوا مادَدْتهم وَيُخَلّو بيني وبينَ النّاسِ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فَعَلوا وإلاَّ فقد جموا[1]، وإن هم أبوا والذي نفسي بِيَدِه لأقاتِلَنَّهم على أمْري هذا حتَّى تنفردَ سالِفَتي[2] ولينفذن اللّهُ أمرَه».

قال بديلٌ: سأبلغهم ما تقول.

فانطلقَ حتى أتى قُريشاً قال: يا معشرَ قريش إنَكم تعجلون على مُحَمَّدٍ وإنَّ محمداً لم يأتِ لقتالٍ إنَّما جاءَ زائراً لهذا البَيْتِ مُعَظِّماً لِحَقِّه.

---

(١) استراحوا وكثروا.

(٢) جانب العنق.

قالت قريش: وإنْ كانَ إنَّما جاءَ لذلك فلا واللهِ لا يدخلها أبداً علينا عُنْوَةً[1]، ولا تتحدث بذلك العَرَبُ.

قامَ عروةُ بن مسعود فقال: أَي قوم! أَلَسَتُم بالوالدِ[2]؟

قالوا: بلى.

قال: أوَلستُ بالوَلَدِ؟

قالوا: بلى.

قال: فهل تتهمونَني؟

---

(١) قهراً.

(٢) عروة بن مسعود ثقفي، ولكنه جعل قريشاً والداً له بالجملة؛ لأن أمّه منهم، وهي سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أنِّي استنفرت[1] أهل عكاظ فَلَمّا بلحوا[2] علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعَني؟

قالوا: بلى.

قال: فإن هذا قد عَرَضَ عَلَيكُم خُطَّةَ رُشْدٍ[3] فاقبلوها، ودعوني آته.

قالوا: ائته.

فأتاه، فجعل يُكَلِّمُ النَّبيَّ ﷺ، فقال

---

(١) استنجدت واستنصرت.

(٢) لم يخرجوا معه ولم يعينوه

(٣) أمراً واضحاً من الهدى والاستقامة.

النبي ﷺ نحواً من قولهِ لبديل.

قال عروة: أي مُحَمَّد! أرأيت إن استأصلتَ أَمر قَومِك هل سمعت بأحدٍ من العَرَب اجتاحَ أَهْلَه قَبْلَك؟ وإن تكن الأخرى فإنِّي والله لا أرى وجوهاً، وإنِّي أرى أشواباً[١] من النَّاس خليقاً أنَ يَفرّوا ويَدَعُوكَ.

فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنَحْنُ نَفِرُّ عنه ونَدَعَهُ؟

قال عروة: مَن ذا؟

قالوا: أبو بكر.

قال عروة: أما والذي نفسي بِيَده لولا

---

(١) أخلاطاً من الناس.

يدٌ كانت لك عندي لم أَجْزك بها لأجَبْتُك.

فجعلَ عروةُ بن مسعود يُكَلِّمُ النَّبيَّ ﷺ ويتناولَ لحيَتَهُ وهو يُكلمه معرضاً إلى خُطورةِ ما سيقع بقومِه، فكلَّما أهوى بيده إلى لحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ ضربَ المغيرةُ بن شُعبة يَدَه بنعلِ السيفِ وقال له: أَخِّر يَدَكَ عن لحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فرفع عروةُ رأسَه فقال: مَن هذا؟

قال رسولُ الله ﷺ: «هذا المُغيرَةُ بن شُعْبَة».

قال عروةُ للمُغيرة: أي غدر أَلَستُ أسعى في غَدَرتِك، وهل غَسَلْتُ سوءَتكَ إلاَّ

بالأمس[1].

ثم إنَّ عروة جعلَ يرمقُ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ بعينِه، فرآهم إذا تكلَّمَ خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يرفعونَ أبصارهم إليه إجلالاً له، فرجعَ عروةُ إلى قريش ينوءُ[2] بإجلالِ الصحابةِ رضي الله عنهم لرسولِ الله ﷺ، ويقول: أي قوم واللهِ لقد وَفدتُ على المُلوكِ، ووفدتُ على قَيْصَرَ وكسرى والنَّجاشي، والله إن رأيتُ مَلِكاً يُعَظمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ

---

(١) كان المغيرةُ بن شعبة قبل إسلامهِ داهيةً، فقد قتل نفراً ثم أسلم، فدفع دياتهم عروة بن مسعود إطفاءً للفتنة.

(٢) مُثْقَل.

مُحَمّدٍ ﷺ محمداً... وإنه قد عَرَضَ عليكم خُطَةَ رُشدٍ فاقْبَلوها.

فقالَ رجلٌ من بني كِنانة يُدعى الحليس بن علقمة: دعوني آته.

فقالوا: ائته.

فلمَّا أشرفَ على النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه قال رسولُ الله ﷺ: هذا فلان وهو من قومٍ يُعظمون البُدنَ فابعثوها له؛ فاستَقْبَلَه النَّاسُ يُلبّون، فلمَّا رأى ذلك قال: سبحانَ اللهِ ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البَيْت.

فلمَّا رجعَ إلى أصحابِه قال: رأيتُ البُدنَ قد قُلِّدت وأُشعرت فما أرى أن يُصَدّوا عن البَيْتِ.

فقالت قريش: اجلس إنَّما أنتَ أعرابِيٌّ لا عِلْمَ لك.

فقامَ رجلٌ من قريش يُدعى مكرز بن حفص فقال: دعوني آته.

فقالوا: ائته.

فلما أشرفَ عليهم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر».

الصلح وشروطه

فجعل يكلِّمُ النَّبيَّ ﷺ فبينما هو يُكلمه إذ جاءَ سهيلُ بن عمرو. لقد عَرَفَت قُرَيشٌ حَراجةَ المَوقِف، فأسرعت إلى بعثِ سهيل ابن عَمْرو لعقدِ الصُلح، فلمَّا رآه رسولُ اللهِ ﷺ قال: «سهل لَكَم أَمْرَكُم».

قالت هند: وما الذي جعلَ قُرَيشاً تسعى إلى الصُّلح؟

قلت: لقد رأى بعضُ رُسُلِ قُرَيشٍ مُبايعةَ الصَّحابةِ للنَّبي ﷺ على القتالِ حتَّى يفتحَ اللهُ عليهم أو يموتوا، فنقَلوا تلكَ الصورةَ إلى قومِهم ففعلت في نفوسِهم الأعاجيب.

كذلكَ كُلَّما عادَ رسولٌ ممن أرسلَته قريش شَنَّعَ عليها غَطْرَسَتَها... لذلكَ أذعنت للصُلح.

استقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ مُفاوِضَ قُريشٍ وهو أرغبُ ما يكون في موادَعَةِ القومِ حيث خرجَ معتمراً للبيتِ لا يُريدُ قتالاً... تكلمَ سهيلُ بن عمرو طويلاً وعرضَ شروطَ قُرَيشٍ

فقبلَها رسولُ اللّهِ ﷺ لأنَّه كانَ يهدفُ من وراءِ الصُّلحِ إلى تحقيقِ مصالحِ الدَّعْوَةِ بمنأى عن السُّمعةِ والرِّياءِ وأعراضِ الدُّنيا الفانية.

قال أسامة: ما هي قواعدُ الصُّلحِ التي اتَّفقَ عليها الفريقان؟

قلت: مِن مَجموعِ الرِّوايات الصَّحيحَةِ التي وَردت في صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ نَستَخلِص ما يأتي:

١ ـ أن يَرْجِعَ المُسلِمونَ من عامِهِم، فلا يَدخُلون مَكَّةَ.

٢ ـ يقضونَ عُمرَتَهم في العام القابل، ويُقيمونَ بمكَّةَ ثلاثَةَ أيَّامٍ.

٣ ـ لا يَدخُلونَ مكَّةَ بسلاحٍ إلاّ سِلاحَ الرَّاكِبِ؛ السّيوفَ في القُرُبِ[1].

٤ ـ لا تَتَعَرَّضُ قُرَيشٌ لهم بأدنى نَوعٍ من أنواعِ التَّعَرُّضِ أو التَّحَرُّشِ.

٥ ـ من جاءَ النَّبيَّ ﷺ من قُرَيشٍ مُسْلماً بغير إذن وَلِيه يُردُّ عليهم، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا تَردُّه إليهم.

٦ ـ من أرادَ من قبائِلِ العَرَبِ أن يَدخُلَ في عِقْدِ النَّبيِّ ﷺ وَعَهدِه دخلَ ولهم مثل شرطِه، ومن أرادَ أن يدخلَ في عِقْدِ قُرَيشٍ وَعَهدِها دخلَ فيه وله مثل شرطِها.

---

(١) جمع قِراب، وهو غِمدُ السَّيفِ.

٧ـ تَضَعُ الحربُ أوزارَها[1] بينَ الطَّرَفينِ عشرَ سنين، يأمنُ فيها النَّاس، وَيَكِفُّ بعضُهم عن بعض.

فقال سهيلُ بن عمرو: هاتِ اكتُبْ بيننا وبينكم كتاباً.

دعا النَّبيُّ عليًّا رضي اللّهُ عنه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل: أمّا الرَّحمٰنُ فوالله لا نَدْري ما هو؟ ولكن اكتب باسمكَ اللَّهُمَّ كما كنتَ تَكْتُبُ.

فقالَ المُسلمونَ: واللّه لا نَكْتُبُها إلاَّ بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) انقضى أمرها وخفَّت أحمالها، فلم يبق قتالٌ.

فقال النَّبيُّ ﷺ: اكتب باسمكَ اللَّهُمَّ.

ثُمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: «هذا ما قاضى عليه مُحَمَّدٌ رسولُ اللّهِ»

فقالَ سُهيلٌ: واللّه لو كنَّا نعلمُ أنكَّ رسولُ اللّهِ ما صَدَدْناكَ عن البَيْتِ، ولا قاتَلْناكَ، ولكن اكتب: محمدٌ بنُ عَبْدِ اللّهِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «واللهِ إنِّي لَرَسولُ اللّهِ وإن كَذَّبْتُموني، اكتب مُحَمَّدٌ بنُ عبدِ الله»

ثُمَّ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «على أن تُخَلُّوا بينَنا وبينَ البيت، فنطوفَ به»

فقال سهيل بْن عمْرو: واللهِ لا

تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أنَّا أُخذنا ضُغطة[1]، ولكن ذلكَ في العامِ المُقْبِل، فَكَتَب.

ثُمَّ قالَ سُهَيلٌ: وعلى أَنَّه لا يأتيكَ منَّا رجلٌ وإن كانَ على دينِكِ إلاَّ رَدَدْتَه إلينا.

قالَ المُسلمونَ: سبحانَ اللهِ كيفَ يُرَدُّ إلى المُشركينَ وقد جاءَ مُسلماً؟

أبو جندل يرد إلى المشركين

فبينما هُم كذلكَ إذ دخلَ أبو جندل بنُ سُهيل بن عمرو يرسفُ[2] في قيودِه، وقد خرجَ من أسفلِ مَكَّةَ حتَّى رمى بنفسِه بينَ أَظْهُرِ المُسلمينَ.

---

(١) قهراً وعنوة.

(٢) يمشي مقيداً بالأغلال.

فقالَ سهيل: هذا يا مَحَمَّد أَوَّلُ مَن أقاضيكَ عليه أن تَرُدَّه إليَّ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّا لم نَقْضِ الكتابَ بَعد».

فقالَ سَهَيلٌ: واللهِ إذاً لم أصالحك على شيء أبداً.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَأَجِزْه[1] لي»

قالَ سهيل: ما أنا بِمُجيزِه لك.

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «بلى فافعل»

قالَ سهيل: ما أنا بفاعل.

ثُمَّ قامَ سُهَيلٌ وَضَرَبَ أبا جندلٍ في

(١) أمض لي فعلي فيه فلا أرده إليك.

وجهِه، وأخذَه بتَلابيبِه وجرَّه؛ لِيَردَّه إلى المشركين، وجعلَ أبو جندل يصرخُ بأعلى صوتِه: يا معشرَ المُسلمينَ أَأُرَدُّ إلى المُشركينَ يفتنوني في ديني؟

فتألَمَ لذلكَ المُسلمونَ زيادةً على ما بهم... ولكنَّهم بينَ يَدَي رسولِ اللهِ لا يقضونَ أمراً إلاَّ باختيارِ رسولِ اللهِ ﷺ... عندها قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يا أبا جَنْدَل اصبر واحتسب، فإنَّ اللهَ جاعلٌ لكَ ولمن معكَ من المستضعفينَ مخرجاً، إنَّا لقد عَقَدْنا بيننا وبينَ القومِ صُلحاً وأعطيناهم على ذلكَ وأعطونا عهدَ الله، وإنَّا لا نَغدِرُ بهم» وَنَفَذت القَضِيةُ، وَتَمَّ الصُّلْحُ.



استمسك بغرزه إنه رسول الله

قال مالك: إنَّ النّاظِرَ في هذه الشروطِ يـرى أنَّهـا مُجحفـةٌ[1] بحقـوقِ المُسلميـنَ مُرضيةٌ لِغُرورِ قريش فهي التي أمْلَتها.

قلت: قد تساءلَ الصحابةُ رضوانُ اللهِ عليهم عن سرِّ ذلكَ بل بعضُهم شَكَّ... فقد وثبَ عمرُ بن الخَطاب عندما تمَّ الأمرُ ولم يبقَ إلاَّ الكتابُ؛ فأتى أبا بكرٍ فقال: يا أبا بكرٍ ألَيسَ برسولِ الله؟

قال أبو بكر: بلى.

قال عمر: أوَلَسنا بالمُسلمين؟

قال أبو بكر: بلى.

---

(١) مُضِرَّةٌ.

قال عمر: أوليسو بالمشركين؟

قال أبو بكر: بلى.

قال عمر: فعلامَ نُعطي الدَّنيَّةَ[1] في ديننا؟!

قال أبو بكر: يا عُمَر الزَم غَرزَه[2]، فإني أشهدُ أنَّه رَسولُ اللّهِ.

قال عُمَرُ: وأنا أشهدُ أنَّه رَسولُ اللّه.

ثُمَّ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: ألَستَ برسولِ الله؟

قال رسولُ اللّهِ ﷺ: بلى.

---

(١) الذل.

(٢) أمره.

قال عُمَرُ: أوَلَسنا بالمُسلمين؟

قال رسولُ الله ﷺ: بلى.

قال عُمَرُ: أوَليسو بالمشركين؟

قال رسولُ الله ﷺ: بلى.

قال عُمَرُ: فعلامَ نُعطي الدَّنيَّةَ في دينِنا؟

قال رسولُ الله ﷺ: «أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، ولن أخالفَ أمرَه، ولن يُضَيِّعَني».

فنزَلَت سورةُ الفَتْح؛ فَقَرَأَها رسولُ اللهِ ﷺ على عُمَرَ إلى آخرِها.

فقالَ عمر: يا رسولَ اللهِ أوَ فَتْحٌ هُو؟

قال: نَعم.

فطابَت نفسُ عُمَرَ وَرَجَع.

وتساءلَ .الصَّحابةُ رضي الله عنهم كيفَ يَرُدُّ رسولُ اللّهِ ﷺ من جاءَهم من قُريشٍ مُسْلِماً ولا يكونُ العَكْسَ... فَبَيَّنَ لهم رسولُ الله ﷺ قائلاً: «إنَّه مَن ذَهبَ مِنّا إليهم فأبعدَهُ الله، ومَن جاءَنا منهم سيجعل اللهُ له فَرَجاً ومخرجاً»

أيُّها الأبناءُ الأعزاءُ لقد رَضِيَ رَسولُ اللّهِ ﷺ بتلكَ الشُّروطِ وأبرمَ الصُّلحَ؛ لأنَّه يعلمُ أنَّه رسولُ اللهِ ﷺ، وأنَّه فعلَ ذلكَ بأمرِ اللهِ كما صَرَّحَ ﷺ في جوابه لعمرَ رضيَ اللهُ عنه... فليس أمامَ المسلمينَ إلاَّ أن يقولوا سمعنا وأطعنا... ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

ولذلكَ ينبغي على المُسْلِم الصَّادِقِ أن يُسَلِّم للكتابِ والسُّنَّةِ ولو لم تَظهَرْ له حِكْمَةُ الأَمْرِ أو النَّهْيِ... فقد بقي تَخَوُّفُ بعض الصحابةِ رضي الله عنه درساً يَحْذَرونَه فيما استقبلوا من حياتهم، وكانوا يُحَذِّرونَ غيرَهم من الوقوعِ فيما وقعوا فيه من الاعتمادِ على الرَّأي مقابلَ النُّصوصِ الصريحةِ الصحيحة.

فكان عمرُ بن الخَطّاب رضي الله عنه يقول محذراً: يا أيُّها الناسُ اتَّهموا الرأيَ على الدِّين، فلقد رأيتني أردُّ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ برَأي اجتهاداً، فوالله ما آلو عن الحقِّ، وذلك يومَ أبي جَنْدَل.

وكان سَهْلُ بن حَنيف رضي الله عنه

يقول: اتَّهموا رأيكم، رأيتني يومَ أبي جندل ولـو أستطيـعُ أن أردَّ أمـرَ رسـولِ اللـه ﷺ لَرَدَدْتُه.

بل بقيَ عمرُ بن الخطاب مُتَخَوِّفاً من موقِفِه فقال: فمازلتُ أصومُ وأتصدَّقُ وأعتِقُ من الذي صنعتُ مخافةَ كلامي الذي تكلمتُ به يومئذٍ حتى رجوتُ أن يكون خيراً.

قال أنس: هكذا يصنعُ أهلُ الوَرَعِ والتقوى الذينَ لا يقدمونَ بينَ يَدي اللهِ ورسولِه، وَيُقَدِّرونَ آياتِ القرآنِ وأحاديثِ الرَّسولِ ﷺ حقَّ قَدْرِها.

قلت: ... لقد استَجابَ المُسْلِمونَ للهِ ولِرَسولِه فما هي إلاَّ أيَّامٌ حتَّى ظَهَرت تباشيرُ الفَتْحِ المُبين؟



إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً

قال مالك: وَهَل غَزْوَة الحُدَيبْيَة فتحٌ مُبين؟

قلت: نعم يا بُنيَّ هي فتحٌ مُبينٌ كما جاءَ ذلكَ في القرآن الكريم وعلى لسانِ رسولِ الله ﷺ، ودونَكَ التَّفصيل:

١ ـ أخبر اللهُ سبحانه وتعالى أنَّ غزوةَ الحديبية فتحٌ مُبينٌ فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

٢ ـ بيَّنت الأحاديثُ الواردةُ أنَّ الفتحَ المُشار إليه هو غَزْوَةُ الحُدَيبْيَة، ومنها:

عن أنس رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: الحُدَيبْيَة.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: تَعدُّونَ أنتم الفتحَ فَتْحَ مَكَّةَ وقد كان فتحُ مكَّةَ فتحاً، ونحن نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرُّضوان يومَ الحُديبية.

ولذلكَ عَدَّ علماءُ السِّيَرِ والمَغازي يومَ الحُدَيبية يُعادِلُ يومَ بدرٍ.

قال ابن عبد البَر: ليسَ في غزواتِ الرَّسولِ ﷺ ما يَعدِلُ بدراً أو يَقرُبُ منها إلاَّ غَزَوَة الحُدَيبِيَة، هذا هو الرَّاجحُ عندنا.

وكذلك يا أبنائي تَمَخَّضَت غزوةُ الحُديبِية عن نتائجَ عظيمةٍ وآثارٍ إيجابيةٍ منها:

١ ـ اعترافُ قُريش بكيانِ المسلمين.

إن قُرَيشاً لم تكن تَعْتَرِف بأدنى وُجودٍ للمسلمين، بل كانت دَوْماً تَعْمَلُ على استئصالِهم، وَتَنْتَظِر بِلَهَفٍ إلى يوم نِهايَتِهم، ولذلك كانت تَحولُ بين النّاسِ والدَّعوةِ الإسلامية، فهي رمزُ الزَّعامَةِ الدِّينية والصَّدارَةِ الدُّنيوية في جزيرة العرب... وَخُضوعُ قُريش للصَّلح يعني اعترافها بكيانِ المسلمين؛ لأنَّ المعاهَدةَ دائماً لا تكون إلاَّ بينَ نِدَّين.

٢ ـ دخلت مهابةُ المسلمينَ في قُلوبِ المُشركين والمُنافقين... وَحَسْبُكم أنَّ صناديدَ قُرَيش وفرسانَها أسلموا عَقِبَ صُلحِ الحُدَيبية؛ كخالد بن الوَليد وَعَمْرو بنَ العاص، وسارعَ الأعرابُ الذينَ تخلَّفوا عن

رسولِ اللّهِ ﷺ إلى الاعتذار: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.

٣ ـ أعطت الدَّعوةُ الإسلامية حريَّةً كَبيرةً، فوجدَ المسلمونَ فرصةً لنشرِ الإسلام وتعريف النَّاس به، مِمَّا أدى إلى دخولِ كثيرٍ من القبائل في دينِ الله.

قال الزُّهْري: فما فُتحَ في الإسلامِ فتحٌ أَعْظَم منه، إنَّما كان القتالُ حيث التقى

النَّاسُ، فلمَّا كانت الهُدْنَةُ وَوَضَعت الحربُ أوزارَها، وَأَمِنَ بعضُهم بعضاً، والتقوا فَتَفاوَضوا في الحَديث والمُنازَعَةِ، فلم يُكَلَّم أحدٌ بالإسلام يَعِقلُ شيئاً إلاَّ دخلَ فيه، ولقد دخلَ في تينك السَنتين مثل ما كان في الإسلامِ قبلَ ذلك.

وعلَّقَ ابنُ هشام صاحبُ السِّيرةِ النبوية قائلاً: والدَّليل على قَوْلِ الزُّهري: أنَّ رسولَ الله ﷺ خَرَج إلى الحُديبية في ألف وأربعمئة في قَوْلِ جابرٍ بن عبد الله، ثُمَّ خرجَ في عامِ الفتح بعد ذلك بسنتين في عَشْرَة آلاف.

٤ ـ أمنَ المسلمونَ جانِبَ قُرَيشٍ فوجَّهوا ثِقلَهم إلى اليَهودِ فكَسروا شوكَتَهم

وحطَّموا حُصونَهم كما سيأتي توضيحُه إن شاءَ اللّه في غَزْوَةِ خيبر.

حرص وفقه

قالت هِنْدٌ: إذا تحققت هذه النّتائجُ الضَّخْمَةُ على إِثْرِ صُلْحِ الحُديبية فَلِمَ عَمَّت الكآبَةُ مُعَسْكَرَ المسلمين؟

قلت: هذا سؤالٌ يَدُلُّ على تَتَبُّعٍ دقيقٍ لسير الأحداثِ... إنَّ هناكَ ظاهرتان عَمَّ لأجلِهما الحَزْنُ بينَ المسلمين.

الأولى: السَّبَبُ الذي خرجَ من أجلِه المسلمونَ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ أخبرَهم: أنَّنا سنأتي البيتَ فنطوفَ به... فمالَهم

اليومَ يَرجِعونَ ولم يَطوفوا به؟

ولذلك قالَ عُمَرُ لرسولِ الله ﷺ: أوَلَيسَ كنتَ تُحَدِّثُنا أنَّا سنأتي البيتَ فنطوفَ به؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «بلى، فأخبرتُكَ أنَّا نأتِيَه العام؟»

قال عمر: لا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «فإنَّك آتيه وَمُطَوِّفٌ به».

وقد تحققت رُؤيا رسول اللّه ﷺ، ففي السَّنةِ السّابِعَةِ عادَ المسلمونَ إلى مَكَّة ليؤدوا مناسِكَ العُمُرَةِ التي صُدُّوا عنها وَدَخلوها آمنين... وكان عَبْدُ اللّه بنُ

رَواحة رضي الله عنه آخذاً بخطامِ[1] ناقةِ رسولِ الله ﷺ وهو ينشد:

خلُّوا بَني الكُفَّارِ عن سَبيلِه

خَلُّوا فَكُلُّ الخيرِ في رسولِه

يا رب إنِّي مؤمنٌ بقيلِه

أعرفُ حقَّ اللهِ في قبولِه

وكان المشركونَ أشاعوا أنَّ المسلمينَ أصابَهم الضعف فقالوا: إنَّ مُحَمَّداً وأصحابَه قد وَهَنَتهم حُمّى يَثْرِب.

فلمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ لأصحابِه: «أَرْمِلوا بالبيتِ لِيَرى المشركونَ

---

(١) زِمامٌ يوضع على أنْفِ الجَمل ليُتعاد به.

قوَّتكـم»

فلمَّا رَمَلوا قالت قريش: ما وَهَنَتْهُم.

وأقامَ المسلمونَ ثلاثَةَ أيَّام في مَكَّةَ فطافوا وَحَلَقوا رؤوسهم وَقَصَّروا... ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

أما الظاهرةُ الثانية: أنَّ المسلمينَ يعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ على الحقِّ فَلِمَ يَقبَلُ ضَغْطَ قريش وغطرسَتَها؟ وبخاصة أنَّه وافقَ على إعادةِ مَن جاءَه مسلماً دُونَ إذنِ وليهِ إلى قريش كما حدثَ مع أبي جندل.

لكن لما رَجَعَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينةِ جاءَه رجلٌ من ثقيف اسمه أبو بصيرٍ مُسْلِماً، فأرسلت قَرَيشٌ في إثرِهِ رَجُلَين وقالوا للنَّبيِّ ﷺ: العهدَ الذي جعلتَ لنا، فدفعَه إلى الرَّجُلَين، فخرجا به حتَّى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يَأْكُلون من تَمْرٍ لهم، فقال أبو بَصير لأَحد الرجلين: واللّه إني لأرى سيفَك هذا جَيِّداً، فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنَّه لَجَيِّدٌ، لقد جَرَبْتُ به ثم جَرَّبْتُ.

فقال أبو بصير: أَرِني أَنْظُرُ إليه، فَأَمْكَنَه منه، فَضَرَبه به حَتى بَرَد[1]، وفرَّ الآخرُ يَعدو حتَّى بَلَغَ المَدينة، فدخلَ

---

(١) مات.

المَسْجِدَ فقالَ رسولُ الله ﷺ حين رآه: «لقد رَأى هذا ذعراً»

فجاءَ أبو بصير، فقال: يا نَبيَّ الله، قد واللّهِ أوفى اللهُ ذمَّتَكَ، قد رَدَدْتَّني إليهم، فأنجاني اللّه منهم، فقال النبي ﷺ: «ويلُ أُمه مِسْعَرَ حرب لو كان له أَحَدٌ».

فلمَّا سمعَ ذلكَ عرفَ أنَّه سَيَرُدُه إلى الكُفّار، فخرجَ حتَّى أتى ساحلَ البَحْرِ، وشرعَ يُهَدِّدُ قوافلَ قُرَيشٍ المارَّةَ بطريق السَّاحلِ، وَسمعَ المستضعفونَ من المسلمين في مكَّة عن مُقامه، فانفلتَ أبو جندل بن سهيل ولحقَ بأبي بصير، وتتابع المستضعفون حتَّى اجتمعت منهم عِصابةٌ، فوالله لا يسمعونَ بِعيرٍ لِقُريش خرجت إلى

الشام إلاَّ اعترضوا لها، فَقَتَلوهم، وأخذوا أموالَهم، فَأَرْسَلت قريشٌ إلى النَّبيِّ ﷺ تناشِدُه اللهَ والرَّحِمَ لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إليهم، فَقَدِموا عليه المدينة.

قال أسامةُ: وهكذا انحلت أزمةُ المستضعفين، وتنازَلت قريشٌ عن أهمِّ الشروطِ التي أمْلَتْهَا تَعنتاً، وقَبِلَهُ المسلمونَ كارهين.

الفعل أبلغ من القول

قال الأبناءُ السعداءُ جميعُهم: وما صنعَ رسولُ الله ﷺ؟ أَلم يخرج مُعْتَمِراً؟ ألم يُقَلِّد الهدي؟

قلت: لمَّا فرغَ رسولُ اللّه ﷺ من قَضَيةِ الصُّلح قال: «قوموا فانحروا ثم احلقوا».

فواللهِ ما قامَ منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخلَ رسولُ اللّهِ ﷺ على أمِّ سَلَمَة فذكرَ لها ما لَقِيَ من النَّاس.

فقالت أمُّ سَلَمَة: يا نَبيَّ اللّهِ أتُحِبُّ ذلكَ؟ اخرج لا تُكَلِّم أحداً منهم حتَّى تنحرَ بدنكَ وتدعو حالقَكَ فيحلقَكَ.

فخرجَ فلم يُكَلِّم أحداً حتَّى فعل ذلكَ نحوَ بدنِه ودعى حالقَه فحلقَه، فلمَّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعلَ بعضُهم يحلقُ

بعضاً حتَّى كادَ بعضُهم يقتلُ بعضاً.

قال الأبناءُ السعداءُ: هذا موقفٌ نبويٌّ يُؤكِّدُ أنَّ الفعلَ أبلغُ مِن القولِ وأشدُّ تأثيراً.

قلت: ينبغي على المسلمينَ أن توافقَ أقوالُهم أفعالَهم؛ لينالوا خيرَ الدنيا والآخرة... أمَّا مَن خالفَ قولُه فعلَه فقد استحقَّ مقتَ الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾.

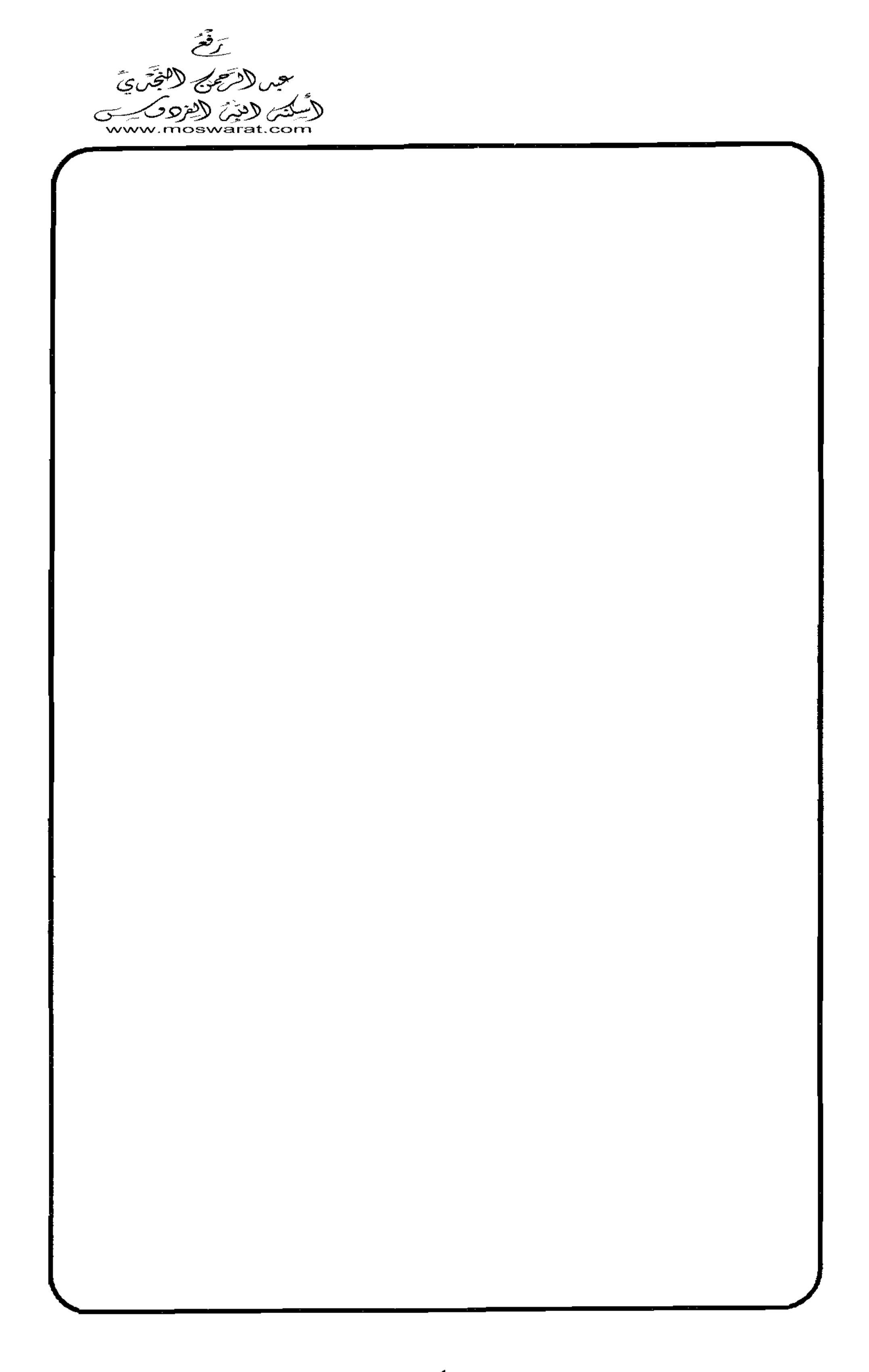
وانفَضَّ المجلِسُ مرددين كفارته على أمَلِ اللقاء بإذن الله تعالى.

* * *

معلومات

تمـاريـن

أنشـطـة



* أضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة:

١ ـ وقعت غزوة الحديبية في السنة:

أ ـ الثالثة من الهجرة.

ب ـ الخامسة من الهجرة.

ج ـ السادسة من الهجرة.

٢ ـ اعتذر الأعراب عن الخروج مع رسول الله ﷺ بسبب:

أ ـ انشغالهم بأهليهم وأموالهم.

ب ـ ظنهم أن أهل مكة سوف يقاتلون رسول الله ﷺ.

ج ـ عدم إيمانهم.

٣ ـ القصواء هي:

أ ـ فرس رسول الله ﷺ.

ب ـ حمار رسول الله ﷺ.

ج ـ ناقة رسول الله ﷺ.

٤ ـ حابس الفيل هو:

أ ـ الله جل جلاله.

ب ـ أبرهة الأشرم.

ج ـ عبد المطلب.

٥ ـ صاحب الجمل الأحمر هو:

أ ـ عمر بن الخطاب.

ب ـ عثمان بن عفان.

ج ـ الجد بن قيس.

* علل ما يلي:

١ ـ لم يخرج الرسول ﷺ بسلاح إلا السيوف في أغمادها ....

....

٢ ـ عندما وصل رسول الله الميقات قلَّد الهدي وأشعره ....

....

٣ ـ لما بلغ رسول الله ثنية المرار بركت ناقته ....

....

٤ ـ لما رأى المسلمون الحليس بن علقمة استقبلوه بالبدن والتلبية ......

* اذكر بعض معجزات رسول الله ﷺ التي ظهرت في الحديبية؟

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ ....

٤ ـ ....

* أضع إشارة (√) أمام الجملة الصحيحة وإشارة (X) أمام الجملة الخطأ:

١ ـ فات عثمان بن عفان مبايعة رسول الله ﷺ تحت الشجرة.

٢ ـ رأى عروة بن مسعود تعظيم أصحاب النبي ﷺ له فرجع يخبر قريشاً بذلك.

تطلق كلمة العين في لسان العرب على معان كثيرة منها:

العين: عضو الإبصار في الإنسان وغيره من الحيوان.

العين: ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري.

العين: ذات الشيء ونفسه.

العين: ما ضرب نقداً من الدنانير.

العين: كبير القوم وشريفهم.

العين: الجاسوس.

* استخرج من الكتاب جملتين تدلان على بعض هذه المعاني:

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

* ظاهر شروط صلح الحديبية إجحاف للمسلمين ولكنها في الحقيقة فتح مبين، اشرح هذا القول باختصار مؤيداً قولك بالأدلة.

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

❊ استخدم رسول الله ﷺ مع قريش أساليب هامة في الحرب النفسية، اذكر بعضها؟

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

❊ ❊ ❊


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com